مدرسة الإسكندرية

الذي يزني يُخطئ إلى جسده

للقديس يوحنا ذهبي الفم

د. سعيد حكيم

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد العاشر - ٢٠١٢

مجلة مدرسة الإسكندرية
عدد ١٠

الذى يزني يخطئ إلى جسده

للقديس يوحنا ذهبى الفم

ترجمة: د. سعيد حكيم

"الذي يزني يُخطِئ إلى جسده"*
للقديس يوحنا الذهبي الفم (١كو٦: ١٨)

ترجمة د. سعيد حكيم
دكتوراه في العلوم اللاهوتيّة. جامعة أرسطو. اليونان
باحث بالمركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية
S.hakim@alexandriaschool.org

حول خطية الزنا[1]:

«اهربوا مِنْ الزنا» (١كو٦: ١٨). لم يقل ابتعدوا عن الزنا، لكنه قال: «اهربوا»، أي بادروا أو أسرعوا في التخلُّص مِنْ هذا الشر. «كل خطيَّة يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد، لكن الذي يزني يُخطئ إلى جسده» (١كو٦: ١٨)، وعندما يقول هذا فهو يتوجَّه للضعفاء، ولأن كلمته هي عن الزنا، فإنه يؤكد بكل الطرق على هذا: «أن الذي يزني يُخطئ إلى جسده»، ويحاول سواء مِنْ خلال هذه الطريقة أو تلك أن يُظهر حجم هذه الخطية.

إذًا، ما قاله سابقًا: «اهربوا مِنْ الزنا»، هو أمر يخص الأتقياء، بينما هنا يتحدَّث عن الضعفاء، وهذه بالحقيقة هي ملامح حكمة الرسول بولس، إذ أنه يحاول أن يُثير الخجل في النفوس، ليس فقط مِنْ خلال طريقة واحدة، لكن بطرق مختلفة أيضًا، ويحاول أن يؤكد على أن هذه الخطية، تُعدُّ خطية قبيحة وغير لائقة.

ماذا، إذًا، قد يقول المرء، ألا يلوث القاتل يده؟ ألا يتلوث الطامع والخاطف بما يقترفاه؟ نعم بكل تأكيد، وأعتقد أن هذا واضح، ولكن لأنه لم يستطع أن يُشير إلى شيء أكثر سوءًا مِنْ الزنا، فقد أكد على ذلك بطريقة أخرى قائلاً: إن الجسد كله يصير دنسًا، في حالة الزنا. كما لو كان الزاني قد

---

* تمت الترجمة عن النص اليوناني المحقق والمنشور فس سلسلة "آباء الكنيسة الذين كتبوا باليونانية ΕΠΕ" المجلد رقم ١٨: ٤٩٧ــ٥٠٣.

[1] العناوين الجانبية مِنْ وضع المترجم.

سقط في قدر ملوث، وانغمس في التلوث بشكل كامل، هكذا مَنْ يتلوث بالزنا. وهكذا فقد تعودنا على ذلك نحن أيضًا، فعندما تستولى على أحد خطية الطمع والسلب، فإنه لا يُبادر بالذهاب إلى الحمام العام، بل يتوجَّه إلى بيته في هدوءٍ. أما عندما يُعاشر زانية، فإنه يذهب [إلى الحمام] ليستحم، إذ أنه قد صار دنسًا بالكامل.

وهكذا فإن الضمير الإنساني يعتبر أن هذه الخطية بذيئة أو قبيحة. ومِنْ جهة أخرى، فإن الخطيتين؛ الطمع والزنا، هما مِنْ الخطايا المخيفة، وتؤديان إلى الجحيم. ولكن نظرًا لأن القديس بولس يتصرف بحكمة في كل الأمور، فإنه شدّد كثيرًا على جريمة الزنا بالوسائل التي رتبها. ثم بدأ يشرح أهمية أن يبقى الجسد نقيًّا مِنْ كل دنس، إذ أن: «جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم مِنْ الله، وأنكم لستم لأنفسكم» (١كو٦: ١٩)، ولم يقل فقط الروح القدس، بل «الروح القدس الذي فيكم»، الأمر الذي يُظهر رغبة نفسية قوية.

وأيضًا يضيف شارحًا: «الذي لكم مِنْ الله». فقد أضاف أيضًا الكلام عن عطية الروح القدس، وهذا يُكرّم المستمع ويُخيفه في الوقت نفسه، مِنْ خلال عظمة العطية، وكرامة إلهية. «وأنكم لستم لأنفسكم»: وهذا يُبيّن أنه لا يحاول فقط أن يُثير فيهم خجلاً، بل يحثهم أيضًا على الفضيلة. وهكذا يتساءل لماذا تفعل كل ما تريد؟ ألست سيد نفسك؟

لستم لأنفسكم:

إذًا ماذا يعني بعبارة: «وأنكم لستم لأنفسكم»، وماذا يريد أن يُحقق مِنْ وراء هذا؟ إنه يريد أن يجعلهم لا يخطئوا، ولا يتبعوا شهوات نفوسهم غير اللائقة. لأننا بالحقيقة نريد لأنفسنا أمورًا كثيرة غير لائقة، في حين أنه ينبغي علينا أن نضبط أنفسنا، وهذا ممكن بالنسبة لنا، لأنه إن لم يكن هذا ممكنًا لنا، فإن النصيحة ستكون في غير موضعها. لاحظ كيف أن القديس بولس قد حقق ما يريد. فبعدما قال: «أنكم لستم لأنفسكم»، لم يقل إنكم تحت ضغوط أو إكراه، لكنه أضاف: «لأنكم قد اشتُريتُم بثمن» (١كو٦: ٢٠).

ولماذا يقول هذا الكلام؟ ربما يستطيع المرء أن يقول إنه كان ينبغي أن ينصحنا بطريقة أخرى. ثم يستطرد قائلاً: «فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١كو٦: ٢٠). ويقول ذلك لكي نهرب مِنْ الزنا، ليس فقط بالجسد، بل وبأرواحنا ونفوسنا أيضًا، وألاّ نفكر أبدًا في الزنا، لأنه إن فعلنا عكس ذلك فستُطرد النعمة. وعندما يكتب الرسول بولس: «في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله»، فهو يريد أن يذكّرنا باستمرار بأن كل شيء هو لله؛ الجسد، والنفس، والروح.

لاحظ كيف أنه يُرجع كل شيء للمسيح. وكيف أنه يسمو بنا إلى السماء، إذ يقول أنتم أعضاء المسيح، وهيكل الروح القدس. لا تصيروا إذًا أعضاء زنا، بل أعضاء جسد المسيح. وهذه الأمور يذكرها، لكي يُظهر في الوقت ذاته محبة الله تجاه البشر، فجسدنا هو له، وقد أنقذنا مِنْ سلطان الخبيث [أي الشيطان]. أي أنه لو كان جسدكم غريبًا [أي ليس ملكًا لكم]، فلن يكون لكم الحق في إهانة جسد غريب، وخاصةً لو كان هذا الجسد ملكًا لإلهكم، ولا أن تنجِّسوا هيكل الروح. وطالما أن ذاك الذي يقتحم منزلاً غريبًا، ويستمتع بكل ما فيه، يُعاقب بشدة، فكم يكون عقاب ذاك الذي يجعل هيكل الملك ملجأ لصوص، فكر في مقدار الشرور التي سيُعانيها.

جسدكم هو هيكل للروح القدس:

إذًا ونحن نفكر في هذه الأمور، ينبغي علينا أن نحترم ذاك الذي يسكن فينا، لأنه هو الروح القدس المعزِّي، وأن نسلك بمخافة أمام الذي مُتحد بك، لأنه هو المسيح. هل تجعل مِنْ نفسك أعضاء للمسيح؟ فكِّر مِنْ الآن فصاعدًا، أي أعضاء كنت تحمل، وأي أعضاء تحملها الآن، ولتكن متعقلاً وحكيمًا في ذلك. لقد كانت أعضاؤك مِنْ قبل أعضاء زنا، ولكن المسيح جعلها أعضاء جسده هو.

وبالتالي فأنت لا تسود عليها، فلتكن عبدًا لذاك الذي حررك. فلو كان لديك ابنة، وقد أجَّرتها بغباء شديد لبيوت تمارس الزنا، وجعلتها تزني، ثم جاء بعد ذلك ابن ملك وحررها مِنْ تلك العبودية وتزوجها، فلن يكون لك أي حق بعد

ذلك، أن تقودها إلى ممارسة الزنا، لأنه مرة واحدة قد أعطيتها وفقدتها. وحالتنا هي الحالة نفسها، إذ قد أجَّرنا جسدنا للشيطان، ذلك القواد المخيف للزنا، هذا الجسد الذي خلّصه المسيح، وأنقذه مِنْ هذا العذاب المؤلم.

وبناءً على ذلك، فجسدنا ليس ملكًا لنا، بل هو مِلكٌ لذاك الذي خلّصه. فإن أردت أن تكون عروسًا للملك، لا تجعله يعوقك عن تتميم ذلك، أما إن قدته إلى الحالة الأولى، فستعاني مما هو طبيعي أن يعاني منه أولئك الذين سلموا أنفسهم لمثل هذا الفجور. ولذلك فعلينا إلتزام أخلاقي أن نُقمع هذا الجسد، لا أن نستحي منه. لا تنقاد للجسد مِنْ جهة الشهوة الشريرة، بل فقط في الأمور التي يُحددها الله.

فكر، إذًا، في كم الفجور التي خلّصك منها الله، لأن مِنْ جهة هذا الأمر، فإن طبيعتنا ذاتها كانت أكثر قبحًا مِنْ كل زانية. بالحقيقة قد تسلَّل إلى النفس، السرقة، والقتل، وتقيدت بلذة عابرة، وبأجر زهيد وتافه، وصارت متقلبة بأفكار الزنا وأعماله، وأثمرت فقط هذه المكافأة [أي التقلب والارتباك]. لكن كون أن هذا كله قد حدث قبل مجيء المسيح، فهذا ما كان يُعتبر أمرًا خطيرًا، بيد أن تلك الأمور لم تكن بأية حال مخيفة بشكل ميؤوس منه.

ولكن أن تتدنَّس النفس، وتتلوَّث مرة أخرى بالأشياء البشعة [مثل الزنا] بعد الخلاص المُعطى مِنْ السماء، وبعد الوعد بالملكوت، وبعد التمتع بالأسرار، فكيف سيُغْفر لها؟

مَنْ التصق بالرب، فهو روح واحد:

ألاَ تثق في أن لأولئك النسوة، اللائي يتزين لأجل ممارسة الزنا، علاقة وثيقة بشيطان الزنا؟ ومَنْ سيختلف في هذا؟ ولو أن هناك مَنْ يختلف، فليفتح نفوس النساء اللائي سلّمن أنفسهن لمثل هذه البذاءة، وسيرى على كل حال، أن شيطان الزنا مرتبط بهن إرتباطًا وثيقًا. لأنه مِنْ الصعب أيها الأحباء، وربما هو

مستحيل، حين يتزيَّن الجسد إلى هذا الحد، أن تتزيَّن النفس في الوقت ذاته. بل مِنْ المتوقع أنه عندما نعتني بالواحد، أن نهمل الآخر.

ليس مِنْ الطبيعي أن يحدث الأمرين في الوقت ذاته. ومِنْ أجل هذا يقول: «مَنْ التصق بزانية هو جسد واحد... وأما مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد» (اكو٦: ١٦-١٧). الإنسان الثاني [أي مَنْ التصق بالرب] يصير روحًا، على الرغم مِنْ أن له جسد. لأنه حينما لا ينقاد بأي فكر جسدي أو أرضي، يصير روحًا واحدًا مع الرب، وهذا يحدث عندما تكون كل السيادة هي للروح. وهكذا يتمجَّد الله.